القوة العسكرية في المنطقة.

وفضلاً عن ذلك، ان هذه العمليات، التي لها ديناميكيتها، ليست حسّاسة ازاء مختلف مضامين الاسلحة النووية. ان ردّ الفعل الاجتماعي على عمليات التحديث، وهو ردّ الفعل الذي ينشأ في أماكن مختلفة من العالم الثالث، بما فيه الشرق الاوسط، يحدث داخل الدولة. وعلى مستوى الدولة، ان منطق الاسلحة النووية والوعي بالاثمان النابعة من مركزية القوة العسكرية بين الدول في ظروف حيازة الاسلحة النووية، ليسا قائمين بالقدر الكافي. وعندما تحدث ردود فعل عنيفة على عمليات التحديث، فانها تُسهم في تفاقم مركزية القوة العسكرية في المنطقة.

وفي هذا الصدد، تختلف الحالة القائمة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة. فهاتان الدولتان قد مرّتا بعمليات التحديث منذ وقت مضى؛ وهما، لذلك، لا تشهدان التوتر الاجتماعي النابع من هذه العمليات. ويتّسم الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، كلاهما، باستقرار اجتماعي وسياسي أكبر من الاستقرار الاجتماعي والسياسي في دول الشرق الاوسط. ان استقرار النظامين، السوفياتي والاميركي، النسبي، يضمن العملية المؤسسية لنقل السلطة، ويمنع أخطار الانقلابات العسكرية والقلاقل السياسية الخطيرة. هذه كلها تضمن، الى حدّ معيّن، منع الاخطاء والاخطار في المجال النووي.

وتختلف الحالة في الشرق الاوسط. ان الكثير من دول هذه المنطقة تسيطر عليه انظمة لم تترسّخ فيها أسس عمليات تغيير السلطة المنتظمة.

من سمات الحياة الدولية مركزية القوة العسكرية. ان مركزية القوة العسكرية واسهام القوة العسكرية في حلّ النزاعات الدولية موضوعان متعلقان بالشعور بالأمن لدى الدول في النظام الدولي، ويعبّر عنهما بعبارة «معضلة الأمن». وفي «معضلة الامن» يتجلّى، بصورة جوهرية، جانب مركزي من بُعد مركزية القوة العسكرية في المجتمع الدولي. فوفقاً لـ «معضلة الامن» لا تستطيع دولة ان تتمتع بالامن الكامل في النظام الدولي. ان محاولة دولة لزيادة أمنها من طريق زيادة قوتها العسكرية تؤدي، حتماً، الى ردود فعل مضادّة، وتكون النتيجة النهائية ان الامن النسبي لتلك الدولة لا يزيد، بل يقلّ احياناً. ان «معضلة الامن» تقوم، بصورة رئيسة، على عدم وجود تيقّن في النظام الدولي من نوايا الطرف المضادّ. وفي ظروف الشك هذه، تسعى الدول الى زيادة أمنها النسبي.

هل حلّت حيازة الاسلحة النووية «معضلة الأمن» في العلاقات بين الدولتين العظميين ؟ ان من الحقائق الاساسية ان هذه الاسلحة لم تحلّ «معضلة الامن» بينهما. بل ان هذه المعضلة ازدادت شدة. فالدولتان العظميان تواصلان بناء قوتيهما النوويتين وزيادة كميتيهما وتحسين نوعيتيهما، على الرغم من انهما تستطيعان ان تحققا توازن الردع النووي المتبادل من طريق قوة نووية على مستوى أكثر انخفاضاً من مستوى القوة الموجودة تحت تصرّفهما.

وان من الحقائق الاساسية، أيضاً، ان الاسلحة النووية لم تزل النزاع بين الدولتين العظميين. فهذه الاسلحة، حتى في ظروف الردع النووي المتوازن المتبادل وبعد اكتساب معرفة كبيرة بطابع هذه الاسلحة، لا توقف النزاع بين الدولتين. ان السؤال الذي يطرح نفسه: الى أي حدّ منعت الاسلحة النووية، منذ سنوات الاربعين (فيما بعد الحرب العالمية الثانية) وحتى اليوم، نشوب الحرب بين الشرق والغرب ؟ ان عدداً كبيراً من الباحثين يقدّر ان الاسلحة النووية حملت الدولتين العظميين على التصرّف بحكمة وضبط النفس، ممّا أدى الى تخفيض احتمال نشوب الحرب بينهما، تخفيضاً كبيراً جداً،